مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــ المجلد: 14 / العـدد:02 (نوفمبر 2026) ص 651– 664
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

قَبَائِلُ الفلان فِي السُّودَانِ الغَرْبِيِّ وَالأَوْسَطِ: مِنْ فِكْرَةِ الإِصْلاَحِ إِلَى الدَّعْوَةِ السِّيَاسِيَّةِ خلال القَرْن (13هـ / 19م)

The Fulani Tribes in Western and Central Sudan From the Idea of Reform to Political Advocacy in the 13th Century AH/19th Century CE

عبد الوهاب علالي [1]، عبد الرحمان بعثمان [2]
Abdelwahab Allali[1], Abderrahmane Baotman[2]
1 مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا جامعة أدرار (الجزائر)، wahaballali@univ-adrar.edu.dz
2 مخبر الدراسات الافريقية للعلوم الإنسانية والاجتماعية (الجزائر)، baotman1980@univ-edu.dz

تاريخ الاستلام: 2026/10/10	تاريخ القبول: 2026/11/21	تاريخ النشر: 2026/11/25

الملخص: تتناول هذه المقالة دراسة تاريخية لأحد أكبر العناصر السكانية في غرب أفريقيا وهم قبائل الفلان الذين انتقلوا من النظام القبلي إلى طابع حركي إصلاحي وجهادي، أسفر عن تأسيس كيانات سياسية ظهرت على شكل ممالك إسلامية خلال القرن 13هـ/19م في منطقة بالسودان الغربي، وهي الفترة التي شهدت ظهور عدة دول وممالك فلانية منها خمس كبرى غيّرت خريطة المنطقة السياسية والروحية.

وتهدف هذه الدراسة إلى التعريق بقبائل الفلان، وكيف تطورت دعوتهم من حركة إصلاحية قبلية إلى حركة سياسية انتهت بإقامة دويلات إسلامية، اتخذت من فكرة الجهاد وسيلة للوصول للحكم والتوسع العسكري، ومن خلال هذه الورقة البحثية نتعرف على أهم ممالك ودول الفلان التي كان لها أثر كبير في المنطقة، واستعراض بعض آثارهم الحضارية، وإسهامهم في نشر الإسلام والثقافة العربية.

كلمات مفتاحية: الفلان، حركة الإصلاح، الجهاد، الممالك الإسلامية، السودان الغربي.

Abstract

This article presents a historical study of one of the largest population groups in West Africa, the "Fulani," who moved from a tribal system toward a reformist and jihadist movement, resulting in the establishment of political entities that emerged as Islamic kingdoms during the 13th century AH/19th century CE in the West African region, also known as Western Sudan. This period witnessed the emergence of several Fulani states and kingdoms, including five major ones that changed the political and spiritual map of the region. This study aims to introduce the Fulani and to show how their call for reform developed from a tribal reform movement into a political movement that culminated in the establishment of small Islamic states, which adopted the idea of jihad as a means of attaining power and military expansion. Through this research paper, we come to know the most important Fulani kingdoms and states that had a significant impact on the region, and we review some of their civilizational legacies and their contribution to the spread of Islam and Arab culture.

Keywords: The Fulani, the Reform Movement, Jihad, Islamic Kingdoms, The Western Sudan.

المؤلف المرسل: عبد الوهاب علالي، **الإيميل:** wahaballali@univ-adrar.edu.dz

1. مقدمة:

تتألف التركيبة البشرية لقارة إفريقيا من مئات القبائل والشعوب التي تتكلم لغاتٍ ولهجاتٍ مختلفة، شكلت مع مرور الزمن تجمعات سكانية، ثم تحولت إلى كيانات سياسية وممالك ودول في جهات القارة كافة: شمالاً وجنوباً ووسطاً وشرقاً وغرباً. ومع دخول الإسلام إلى القارة وانتشاره فيها وتثبيت دعائمه ونشر الثقافة العربية الإسلامية، ظهرت دول وممالك إسلامية في الجهة الغربية منها، سادت ثم بادت تاركة وراءها منجزات ومآثر حضارية شملت مختلف مجالات الحياة ودلت عليها آثارها، ولا سيما خلال القرنين 12هـ و13هـ / 18م و19م؛ حيث شهدت المنطقة بزوغ حركات جهادية إصلاحية تحولت إلى كيانات سياسية أسفرت عن تشكل دول وممالك إسلامية كبرى. ولقد مثّلت حركة الفلان في الغرب الإفريقي إحدى أبرز الظواهر التاريخية في القارة، وشكّلت منعطفاً حاسماً وجذرياً غيّر مجرى الحياة في تاريخ المنطقة؛ فعلى غرار بعض الحركات الإصلاحية الجهادية التي عرفتها المنطقة — كحركة الكانمي في كانم برنو وغيرها — انتقل الفلانيون من طور الحركات الإصلاحية الجهادية في إمارات متناحرة ومتناثرة إلى رحاب ممالك ودول مركزية موحدة. وخلال هذه الحقبة، تأسست عدة دول وممالك فلانية، من أبرزها خمس ممالك كبرى: الدولة الإمامية في فوتا تورو بالسنغال، وإمامة فوتا جالون في غينيا، وإمارة ماسينا في مالي، والدولة الفودية (الخلافة الصكتية) في نيجيريا، ودولة الحاج عمر الفوتي؛ مخلّفةً وراءها منجزات وآثاراً حضارية عادت بالفضل على المنطقة، ولا تزال شواهدها ماثلة حتى يومنا هذا.

ورغم أن أغلب تلك الممالك كانت تدين بالإسلام، فإن إسلام بعض قبائلها وسكانها كان **سطحياً** اختلط بالطقوس الوثنية، وهو ما دفع قادة الحركات الإصلاحية إلى مجابهة تلك الممارسات وإعلان الجهاد لتصحيح العقيدة. ومن ثَمَّ يمكن القول إن من أبرز أسباب قيام تلك الدول الفلانية محاولةَ إصلاح المجتمع من الرواسب الوثنية، على الرغم من اتساع رقعة اعتناق الإسلام بين سكان القارة.

وهنا تكمن أهمية هذا الموضوع؛ إذ يروم تسليط الضوء على حقبة مفصلية من تاريخ السودان الغربي، تميزت ببروز علماء ودعاة ومصلحين حملوا لواء التجديد لتصحيح المعتقدات وتغيير الأنماط الدينية السائدة. وهذا — إن دلّ على شيء — فإنما يدل على المستوى العلمي الرفيع والمستنير الذي بلغه هؤلاء العلماء، تفاعلاً مع علماء المشرق والمغرب الإسلامي وأخذاً عنهم؛ الأمر الذي بدّد الصورة النمطية القاصرة التي كانت تفصل إفريقيا جنوب الصحراء عن عمقها الحضاري الإسلامي، وأثبت أصالة تجذر الإسلام وحضارته فيها، ولا سيما في النطاق الجغرافي المشترك بين ممالك السودان الأوسط (كمملكة كانم برنو) والسودان الغربي (حيث قامت ممالك الفلان وإمارات الهوسا).

أما إشكالية الدراسة؛ فتتمحور حول حركة الفلان ومسار انتقالها من التنظيم القبلي والدعوة الإصلاحية إلى الحراك الجهادي والسياسي الذي أثمر دولاً مركزية وممالك حضارية موحدة في غرب إفريقيا. وتتفرع عن هذه الإشكالية الأسئلة الآتية:

- من هم الفلان، وما هي مواطن انتشارهم؟
- ما الأسباب والعوامل التي أدت إلى قيام حركات الإصلاح والجهاد الفولانية وتتويجها ببناء كيانات سياسية؟
- ما أبرز دولهم وممالكهم التاريخية، وما أهم مآثرهم ومنجزاتهم الحضارية؟

1 – التعريف بقبائل الفلان:

تُعدّ قبائل الفلان من أبرز الشعوب الإفريقية التي اعتنقت الإسلام، واضطلعت بدور ريادي في نشره وترسيخ دعائم الثقافة العربية الإسلامية، ولا سيما خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين (الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين) في بلاد السودان الغربي. وقد تباينت الروايات التاريخية حول أصولهم وتسمياتهم؛ حيث حظيت هذه المجموعة باهتمام واسع من المؤرخين وعلماء الأجناس (الأنثروبولوجيا) نظراً لتمايز ملامحهم الجسمانية (السحنة واللون) ونمط نشاطهم الاقتصادي القائم على الرعي والترحال، مقارنة بالقبائل الإفريقية المجاورة في مواطن استقرارهم؛ الأمر الذي ولّد سجالاً علمياً واسعاً حول منابتهم الأولى.

1. 1.الأصول:

قدّمت الباحثة بهيجة الشاذلي مقاربة موضوعية لمسألة أصل الفلانيين وما أثارته من تساؤلات أنثروبولوجية وتاريخية: هل انحدروا أصلاً من بلاد السودان، أم هاجروا إليها من أصقاع أخرى واحتفظوا بخصائصهم السلالية نتيجة انغلاقهم النسبي وعدم اختلاطهم عبر المصاهرة؟ وقد فصّلت الباحثة هذه الآراء إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية: فرضية الأصل غير الإفريقي، وفرضية الأصل الإفريقي، ثم الروايات المنقولة عن علماء الفلان ومؤرخيهم (الشاذلي، 2015، ص 38–39).

فرضية الأصل غير الإفريقي:

يميل الباحث جيلبير فييار (Gilbert Vieillard) إلى ربط أصولهم بالأجناس القوقازية البيضاء (Vieillard, 1932, p. 288).

في حين ذهب موريس دولافوس (Maurice Delafosse) إلى القول بأصلهم السامي/اليهودي، مفترضاً هجرتهم من بلاد الشام إلى شمال إفريقيا، ثم نزوحهم إلى الصحراء الغربية وصولاً إلى حوض السنغال عقب اضطرابات التوسع الروماني(Delafosse, 1912, p. 211).

ونسبهم فريق آخر إلى هجرات هندية قديمة عبر وادي النيل اختلطت بشعوب السودان، بينما ذهب برنارد لويس (B. Lewis)إلى احتمال انحدارهم من بقايا المستوطنين الإغريق أو الرومان، أو من بلاد الغال.

أما سمبو محمد الكلوي، فيذكر في كتابه «كنز الأولاد في تاريخ الدراري والأجداد» أن الفولانيين من ذرية الفاتح عقبة بن نافع، من زواجه بـ«بَجْ مَنغ» (وتعني البنت الكريمة أو الوحيدة، واسمها مريم)، وهي ابنة حاكم محلي أسلم على يديه (الشاذلي، 2015، ص 40). وتضيف الرواية أن أحفاد تلك المصاهرة توزعوا بين فوتا تورو وبلاد الهوسا؛ فكان من نسلهم عثمان تورو (Turo) الذي استقر عقبه في النيجر ونيجيريا وماسينا، ومن سلالته الشيخ عثمان بن فودي.

فرضية الأصل الإفريقي للفلان:

يرى أصحاب هذا الطرح أن الفلان ينتمون إلى الأرومة الإفريقية الحامية؛ إذ لاحظ غاسبار موليان (G. Mollien)تقارباً كبيراً في العادات والأوصاف الجسدية بين الفولانيين والنوبيين في حوض النيل (الفلاتي، 1994، ص 19).

وأكد الرحالة هاينريش بارت (Heinrich Barth) قدومهم من شرق إفريقيا واستقرارهم في الشمال الإفريقي في مراحل سابقة لدخول البربر، ثم هبوطهم جنوباً نحو حوض السنغال واستيطانهم في «فوتا تورو» تحت ضغط التحركات السكانية(Barth, 1861, p. 218).

وذهب فيليكس دوبوا (Félix Dubois) إلى أنهم تحركوا من الشمال الغربي لمصر في القرن السادس قبل الميلاد واستقروا تباعاً في فوتا تورو وفوتا جالون. بينما رأى شارل مونتاي (Charles Monteil) أن الفولانيين تشكلوا من تمازج تاريخي بين روافد بربرية وعربية وسكان المنطقة الأصليين من السونينكي.

ومن المؤرخين الأفارقة، يرفض البروفيسور عمر كان (Omar Kane) النظريات التي تنزع عن الفلان هويتهم الإفريقية الأصيلة؛ مؤكداً استقرارهم المبكر في الصحراء الغربية منذ الألف الثاني قبل الميلاد (لا سيما في تكانت Taganet وآدرار Adrar والحوض Al–hawd)، قبل أن يدفعهم الجفاف وضغط الهجرات الصنهاجية إلى النزوح جنوباً باتجاه الساحل حوالي القرن الثامن قبل الميلاد (الشادلي، 2015، ص 42).

وتدعم دراسات الباحث السنغالي أبو بكري موسى لام (Aboubacry Moussa Lam) هذه الأطروحة بتأكيد الأصول النيلية والمصرية القديمة للفلان لغوياً وثقافياً(Lam, 1996, p. 375) ، وهي مقاربة تلتقي مع أطروحة المفكر السنغالي الشيخ أنتا ديوب (Cheikh Anta Diop) التي نقضت المنظور الاستعماري الذي دأب على نفي الإبداع الحضاري والقدرات التنظيمية عن الشعوب الإفريقية ونسبتها حصراً إلى أصول وافدة (Diop, 1960, p. 42).

روايات مؤرخي الفلان:

تلتقي غالبية الرويات المحلية والمدونات الفودية حول تأكيد الانتساب العربي الشريف؛ حيث ذهب قادة النهضة الفولانية المتقدمون والمتأخرون إلى هذا المنحى (مارتي، 1985، ص 12).

فقد نظم الشيخ عبد الله بن فودي في كتابه «تزيين الورقات» بيتاً يؤكد هذا النسب بقوله (فودي، 1936، ص 58).

وعقبةُ جدُّ الفلانيينَ من عربٍ ... ومن ثُورُدْبٍ كانت أمُّهم بَجْمَنْغ

وتواتر المعنى نفسه لدى السلطان محمد بلو؛ مشيراً إلى أنهم من فلان التورودو (Torodbe) القادمين من ناحية النيل نحو المغرب الإسلامي، وأنهم استقبلوا طلائع الفتح الإسلامي وأسلموا، وطلبوا معلماً يفقّههم في الدين؛ فبقي معهم عقبة (سواء نُسب إلى عقبة بن نافع الفهري، أو عقبة بن عامر، أو غيرهما بحسب اختلاف الروايات المتداولة)، وتزوج ابنة أميرهم (بجمنغ) فأنجبت سلف قبائل الفلان.

كما أشار السلطان محمد بلو في مواضع أخرى إلى أطروحات نسب بديلة تداولتها المصادر المكتوبة والشفوية؛ كالانتساب إلى جعفر بن أبي طالب، أو الاتصال النسبي بالشرفاء الأدارسة والعلويين عبر الأمهات، فضلاً عن نقله لبعض الآراء الأنثروبولوجية التي قارنت عاداتهم الرعوية بشرائح شعوب أخرى (بلو، 1996، ص 332).

وأوضح محمد بلو في «إنفاق الميسور» مسارات هجرتهم الجغرافية وتشعبهم إلى بطون؛ استقر بعضها في فوتا تورو، وأخرى في فوتا جالون، بينما اتجهت كتل رئيسية شرقاً لتستقر وتندمج في بلاد الهوسا وحوض النيجر (الالوري، 2013، ص 131–132).

وفي رسالة منسوبة للشيخ عبد الله بن فودي بعنوان «مسألة أصل الفلانيين»، يربط هجرتهم الأولى بنزوح تاريخي امتد من طور سيناء غرباً عبر الشمال الإفريقي، مع الإشارة إلى أصل رومي قديم من ذرية العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، وهو الرأي الذي رجحه مؤرخ صكتو الوزير جُنَيْد بقوله: «والأصح أنهم من روم بن عيص بن إسحاق» (يعقوب، 2015، ص 17).

ويتبيّن من استقراء هذه الفرضيات أن تباين المناهج المعتمدة (بين التحليل اللساني، والأركيولوجي، والأنثروبولوجي الجسدي، والمرويات النسبية التراثية) حال دون الإجماع على منبت عرقي واحد؛ غير أن الراجح علمياً هو تكوّن الفلان عبر صيرورة تاريخية طويلة من التمازج الحيوي بين عناصر رعوية بيضاء/شمالية وأرومات إفريقية محلية، مما أكسبهم خصائصهم المورفولوجية واللغوية المميزة، فضلاً عن تميزهم المبكر بالحنكة السياسية، والنزوع التنظيمي الصارم، والريادة في نشر الثقافة والعلوم الإسلامية (طرخان، 1979، ص 100؛ يعقوب، 2015، ص 19).

1. 2. أصل التسمية:

عُرف الفلان عبر تاريخهم الطويل بأسماء ونعوت متباينة تجاوزت مئة وأحد عشر اسماً في المصادر المحلية والعربية والاستشراقية.

وقد عَرَفت المصادر العربية التاريخية هذا اللفظ مبكراً؛ حيث ورد ذكر لفظة »الفلان «عند المؤرخ تقي الدين المقريزي (ت 845هـ / 1442م) في رسائله التاريخية، كما فصّل في أخبارهم المؤرخ عبد الرحمن السعدي (ت نحو 1667م) في «تاريخ السودان» (الدالي، 2009، ص 12).

أما في الدراسات الغربية، فقد برزت مسألة ضبط التسميات مطلع القرن العشرين لتصحيح الأخطاء التي وقع فيها أوائل الرحالة (مثل هيو كلابرتون الذي أطلق عليهم Felataأو (Felans؛ ويُعد الباحث لويس توكسييه (Louis Tauxierفي مؤلفه «عادات وتاريخ الفلان (Mœurs et histoire des Peuls – 1937) «من أبرز من تولى ضبط هذه المسميات وتصنيفها (الشاذلي، 2015، ص 33–34).

ويعود هذا التعدد اللقبي والاسمي إلى تنوع اللغات واللهجات المجاورة لهم في الغرب الإفريقي؛ حيث يُطلق عليهم:

الفولبي .(Fulbe / Fūlƀe) وهو الاسم الجمعي الأصلي الذي يطلقه الفلان على أنفسهم بلغتهم (الفولفولدي/البولار)، ومفرده بولّوPullo)).

الفلاتة .(Fellata) وهو الاسم الشائع لدى شعوب كانم–برنو، والسودان الأوسط والشرقي، وبلاد الحجاز.

بيل .(Peul / Peuls) وهي التسمية التي أطلقها عليهم شعب الولوف في السنغال، وتبنتها الأدبيات الفرنسية.

فولاني .(Fulani) وهو الإطلاق الذي استعملته قبائل الهوسا وشاع في المصادر الاستعمارية الإنجليزية والدراسات الأنجلوسكسونية.

– جدول رقم 01: أسماء الفولانيين حسب الشعوب الأفريقية

الشعوب/القبائل	التسمية
الماندي	فولبه/فوله جمع فولالو
التيبو والتيدا والكانوري	الفلاتا / فلاتة
الولوف	بول
السنيغال	البولو/ بولار
برنو	الفلاطي
اليوروبا	إيبوني/ فولاني
دارفور والنيل	الفلاتا
غامبيا وسيراليون	فيلا
الموسي/الموشي	سلمحا/سلمي
مالي	فلفد/الفلاليت/فلاتنفا
الهوسا	بافيلاتشي(مفرد)/فولاني(جمع)
الطوارق	أفولي جمع إفولان
كروروفا	أباط ومعناها البيض

– جدول 02: أسماء الفولانيين حسب المصادر (الشادلي، 2015، الصفحات 37–38)

المصادر	التسمية
المصادر العربية	الفولاني– فل– فلاتة– فلالة
المصادر الفرنسية	Les Peuls
المصادر الإنجليزية	The Fulani
المصادر الألمانية	Full
المصادر البرتغالية	Fullos

3.1 ..اللغة:

تُعدّ اللغة إحدى أهم الأدوات الكاشفة عن الأصول الإثنية، وجذور التسمية، ومجالات انتشار الشعوب والقبائل؛ فبينما عُرفت قبائل الهوسا بهذا الاسم نسبةً إلى لسانها المشترك الذي ميّزها عن غيرها، فإن قبائل الفلان — المنتشرة على امتداد حزام الساحل والسودان غرباً ووسطاً وشرقاً — تتحدث لغة جامعة تُعرف بـ »الفولفولدي « (Fulfulde)، وتتفرع إلى لهجات إقليمية متعددة تبعاً لمواطن استقرارهم.

ففي النيجر، ومالي، وبوركينا فاسو، والكاميرون، ونيجيريا تُعرف اللغة بـ »الفولفولدي«، في حين تُعرف في حوض السنغال وموريتانيا وغينيا وغامبيا بـ »البولار (Pulaar) «ويُسمى متحدثوها «هال بولار « Haalpulaar'en)؛ أي الناطقون بالبولار) (سعيدي، 2024–2025، ص 43). ومن الملامح الحضارية للغة الفلانية أنها كُتبت ودُوّنت بالحرف العربي القرآني — المعروف محلياً بـ »الخط العجمي — «لقرون طويلة قبل الحقبة الاستعمارية (الظاهر، 1991، ص 73)، إلى أن فرضت الإدارات الاستعمارية الحرف اللاتيني، ليقتصر استعمال الحرف العربي بعد ذلك على الحلقات العلمية التقليدية، والمصنفات الشرعية، والمراسلات الأهلية.

وقد استوعبت اللغة الفولانية مفردات عربية جمّة نتيجة التمازج الحضاري المديد؛ مما عزز تجذر الثقافة الإسلامية في أوساط الفلان، وجعل لسانهم من أكثر الألسنة انتشاراً في القارة، إذ يُتداول اليوم في أكثر من ست عشرة دولة غربي إفريقيا ووسطها (يعقوب، 2015، ص 22).

وقد حرص فقهاء الفلان على صيانة لسانهم القومي وتوظيفه في التعليم الديني؛ ومن ذلك ما قرره الشيخ عبد الله بن فودي بقوله:

»لا ينبغي لنا معشر الفولانيين التفريطُ في اللغة الفولانية، ولا يتهاونُ بها أي فلاني عاقل؛ لأنها أصله، وكلّ مَن تهاون بلغته واعتنى بلغة غيره واشتغل بها سوى العربية كمن تهاون بوالديه واعتنى بوالدي غيره، فاللغة الفولانية كثيرة التوافق مع اللغة العربية» (الشاذلي، 2015، ص 51).

1. 4.فروع الفلانيين ومواطن انتشارهم:

يتفرع الشعب الفولاني عبر مجاله الجغرافي الممتد من حوض السنغال غرباً إلى تخوم النيل شرقاً إلى عدة بطون وأقسام رئيسية، صنفها الباحثون بحسب مواطن استقرارها وتمايزاتها البيئية واللهجية:

- فلان فوتا تورو (التكرور). ويستقرون أساساً في السنغال، وجنوب موريتانيا، وغامبيا، وحوض النهر.
- فلان فوتا جالون :ويتركزون في جمهورية غينيا (كوناكري)، وغينيا بيساو، وسيراليون.
- فلان ماسينا ونيورو :ويشكلون كتلة وازنة في حوض النيجر الأوسط بجمهورية مالي.

- فلان ليبتاكو، وغورما، وجلغوجي :ويتوزعون بين غرب النيجر وشمال بوركينا فاسو وشرقها.
- فلان بلاد الهوسا وسكتو :ويستوطنون شمال نيجيريا، وشرق النيجر، وشمال بنين.
- فلان أداماوا والحوض الشرقي :ويمتد انتشارهم عبر هضبة أداماوا في شمال الكاميرون، وشمال شرق نيجيريا، وصولاً إلى إفريقيا الوسطى، وتشاد، والسودان (حيث يُعرفون بالفلاتة).

– الفلانيون الرعاة (البرورو / ودابيWodaabe / Bororo .)وهم الفئات البدوية الرحل التي احتفظت بالنمط الرعوي المحض والتنقل الموسمي طلباً للمرعى والكلأ، متأثرين بجفاف الساحل فانتشروا في بوادي النيجر ونيجيريا وتشاد (يعقوب، 2015، ص 20).

.2مجتمع الفلان: من الدعوة والإصلاح إلى بناء الكيانات السياسية:

شهد السودان الغربي خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين (الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين) بروز حركات تجديدية كبرى قادها علماء ومصلحون نهضوا لإحياء الشريعة، انتهت بنقل التنظيم المجتمعي من الإطار الدعوي والقبلي إلى بناء دول مركزية موحدة. ولم يكن هذا التحول معزولاً، بل تقاطع مع حركات مجاورة في السودان الأوسط، كحركة الشيخ محمد الأمين الكانمي في كانم–برنو.

وترجع دوافع قيام هذه الثورات التجديدية وإعلان الجهاد إلى جملة من العوامل:

استشراء الرواسب الوثنية :شيوع مظاهر الخلط العقدي والطقوس الدخيلة لدى بعض الحكام والفئات العامة، من تقديس الأحجار والجن ومظاهر الشرك، مما استوجب إحياء التوحيد وتنقية العقيدة.

التكوين العلمي الرصين :نضوج نخب علمية تشبعت بالمعارف الشرعية عبر روافد الحواضر الكبرى (كالأزهر الشريف، وجامع القرويين بفاس، وجامع الزيتونة، ومحاضر شنقيط وتوات)، مما ولّد مشروعاً إصلاحياً ناهضاً بالمنطقة (ذهني، 1988، ص 36).

الدور التعبوي للطرق الصوفية :أدت الطرق الصوفية (ولا سيما القادرية بفروعها الكنتية، ثم التيجانية لاحقاً) دور الوعاء التنظيمي الذي صهر أبناء القبائل في رابطة روحية مكنت المصلحين من التعبئة العامة ومجابهة الاستبداد والتوغل الاستعماري المبكر.

أثر الرحلات الحجية :وفرت رحلات الحج فضاءً للاحتكاك بالموجات التجديدية الفكرية السائدة في العالم الإسلامي، مما حفز العلماء العائدين على تأسيس محاضن تربوية وحواضر مدنية جديدة كـ «سكتو» و«حمد الله»، لتحويل التدين من الممارسة الشكلية إلى تطبيق حضاري ومؤسسي شامل (أحمد، 2009، ص 128).

.3نبذة عن أبرز دول وممالك الفلانيين في بلاد السودان الغربي:

.3 .1الدولة الفودية (خلافة سكتو 1804 – 1903م).

تُنسب إلى مجدد الإسلام بالغرب الإفريقي الشيخ عثمان بن فودي)وكلمة «فودي» أو «فوديو» باللغة الفولانية تعني الفقيه أو العالم). تنحدر أسرته من فلان التورودو (Torodbe) الذين هاجر جدهم الأكبر موسى جُكُلّو من فوتا تورو نحو بلاد الهوسا في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي (الفلاتي، 1994، ص 19).

نشأة الدعوة ومراحل الجهاد:

ولد الشيخ عثمان في بلدة ماراتا (Maratta) بإمارة غوبر (Gobir) عام 1754م، وتلقى علومه على يد كوكبة من العلماء؛ منهم والده، وخاله عثمان بندوري، والشيخ جبريل بن عمر الأقدسي. ولما رأى ما آل إليه المجتمع من مظالم وخلط ديني دعا إلى التمسك بالسنة وإلغاء المكوس الظالمة؛ حيث يصف ابنه السلطان محمد بلو ذلك الواقع بقوله» :لقد وجد الشيخ عثمان في البلاد من الكفر والفسوق... فمنهم من يعبدون الأحجار والجن، ولا يصومون ولا يصلون ولا يزكون) «إبراهيم، ص 35).

وقد مرت حركته بثلاث مراحل رئيسية (كاني، 1987، ص 63).

المرحلة الدعوية والتكوينية(1804 – 1774 م)

مرحلة الهجرة والجهاد وتأسيس الحكم: (1810 – 1804 م).

مرحلة البناء المؤسسي وترسيخ الدولة (1817 – 1810 م)، حتى وفاته وانتقال الخلافة لابنه محمد بلّو وأخيه عبد الله.

المآثر الفكرية والحضارية:

اتخذت الدولة من مدينة سكتو (Sokoto) عاصمة لها، وامتدت عبر إمارات الهوسا لتشكل أعظم كيان إسلامي موحد في غرب إفريقيا قبيل الغزو البريطاني عام 1903م. واعتمدت اللغة العربية لغةً رسمية للتشريع والمكاتبات الرسمية، إلى جانب تدوين اللغات المحلية (الهوسا والفولفولدي) بالحرف العربي؛ وخلّف قادتها تراثاً تناهز مصنفاته المئات في الفقه وأصول الدين والسياسة الشرعية، منها (عطية، 2015–2016، ص 141).

الشيخ عثمان بن فودي) :نحو 154 مصنفاً)، أشهرها» :إحياء السنة وإخماد البدعة«، و*«بيان وجوب الهجرة على العباد.*«الشيخ عبد الله بن فودي) :نحو 112 مصنفاً)، أبرزها منظومته النحوية الكبرى »البحر المحيط) «تناهز 4400 بيتا)، وفي التفسير »ضياء التأويل في معاني التنزيل«

السلطان محمد بلّو) :أكثر من 160 مؤلفاً)، على رأسها كتابه التاريخي والتوثيقي المرجعي» :إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور.»

وإسهامات علمية رفيعة للنساء، قادتهن ابنته العالمة الشاعرة أسماء بنت عثمان بن فودي من خلال تنظيم «يان تارو» التعليمي النسوي.

3. 2دولة الأئمة في فوتا تورو (1776 – 1881م).

قامت هذه الدولة الإمامية في حوض نهر السنغال إثر ثورة قادها فقهاء حركة «التورودو» ضد سلالة «الدينيانكي (Denianke) «الوثنية. وضع لبنتها الأولى الشيخ سليمان بَال (Souleymane Baal) متأثراً بإصلاحات فوتا جالون، وعقب وفاته عام 1780م عُقدت الإمامة للشيخ عبد القادر كَان (Abdul Qadir Kan) الذي يُعد المنظم الحقيقي للدولة وأبرز حكامها:

التنظيم السياسي والتشريعي :اعتماد مبدأ الشورى في اختيار "الإمام"، وتأسيس مجلس رقابي من كبار العلماء، وتحريم تجارة الرقيق ونخاسة المسلمين داخل أراضي الإمامة، وتوطين الرعاة البدو.

الإشعاع العلمي :نقل النموذج المحضري الشنقيطي؛ حيث شُيِّد ما يربو على أربعين مسجداً أُلحقت بها محاضر قرآنية مجانية ومحاكم شرعية مستقلة، مما جعل فوتا تورو مقصد طلاب العلوم في السودان الغربي قاطبة، حتى سقطت تحت وطأة الاحتلال الفرنسي عام 1881م (يعقوب، 2011، ص 11–12).

3. 3إمارة ماسينا الإمامية (1818 – 1862م).

تأسست في حوض النيجر الأوسط (مالي) بزعامة الشيخ أحمدو لَبّو) (Ahmadou Lobbo) ت 1844م)، الذي انطلق من دعوة إصلاحية مركزها حاضرة «جني (Djenné) «لمناهضة الوثنية واستبداد أمراء سيغو، حتى أعلن تأسيس إمارته متخذاً من حاضرة »حمد الله «عاصمة نموذجية له (أحمد، 2009، ص 201–202).

الخصائص الإدارية والحضارية:

تأسيس «مجلس المحكّمين» (أو مجلس الأربعين) من كبار الفقهاء للإشراف على التشريع والرقابة القضائية على الحكام والأمراء.

هيكلة بيت مال المسلمين وجباية الزكاة والأعشار والمصالح المرسلة بدقة، مع إلغاء الرسوم العرفية غير الشرعية.

إلزامية التعليم القرآني، وبناء المئات من المدارس والمساجد، حتى غدت ماسينا نموذجاً في الانضباط المؤسسي والصرامة الشرعية حتى سقوطها إثر الصدام مع الحاج عمر الفوتي عام 1862م.

3. 4 دولة الشيخ الحاج عمر الفوتي (1852 – 1864م).

أسسها المجاهد الصوفي الحاج عمر بن سعيد تال الفوتي، الذي انطلق بحركته الإصلاحية إثر عودته من الحج ومروره بمراكز العلم في الحجاز والشام ومصر ومصاهرته لبيت الخلافة في سكتو وملازمته للسلطان محمد بلّو؛ حيث حمل مشيخة الطريقة التجانية إلى الغرب الإفريقي.

مشروعه الجهادي والسياسي :أقام كياناً جهادياً واسعاً استهدف مجابهة ممالك البمبرة الوثنية (في سيغو وكارتة)، وتوحيد فضاء الغرب الإفريقي. وقد واجه التوسع الاستعماري الفرنسي في حوض السنغال في معارك حاسمة (مثل حصار قلعة ماتم 1857–1859م)، قبل أن يتحول شرقاً، ليدخل في نزاع مرير مع ماسينا وزعماء الطريقة القادرية (كالشيخ أحمد البكاي الكنتي)، وانتهت حركته بمقتله عام 1864م وتوزع مملكته بين أنجاله (أحمد، 2009، ص 306).

4. خاتمة ونتائج:

خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج المركزية:

شكّل الفلان عصب الحراك الديني والسياسي في بلاد السودان الغربي عبر القرنين 12 و13هـ / 18 و19م؛ حيث تجاوزوا الانتماء الرعوي المتنقل ليؤسسوا دولاً مركزية احتكمت للشريعة الإسلامية.

عكست التجربة السياسية الفولانية تمازجاً مبكراً بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية؛ إذ برز قادتهم بوصفهم فقهاء منظرين وقادة ميدانيين في آن واحد (عثمان بن فودي، عبد القادر كان، أحمدو لبو، الحاج عمر الفوتي).

مثلت هذه الكيانات حاضنة كبرى للغة العربية وحرفها القرآني («العجمي»)؛ فكان عصرهم بحق عصراً ذهبياً للتدوين الأدبي والفقهي واللغوي في إفريقيا جنوب الصحراء، ودحض المقولات التي تفصل تاريخ السودان الغربي عن محيطه العربي الإسلامي.

لم تكن هذه الحركات مجرد انتفاضات عسكرية، بل قدمت نماذج إدارية راقية في نظام الشورى، واستقلال القضاء، ومأسسة الأوقاف، ومحاربة الرق بين المسلمين، وتنظيم المدن وتوطين البوادي.

التوصيات:

توصي الدراسة بتكثيف جهود المراكز البحثية والجامعية لتحقيق وفهرسة التراث المخطوط المودع في خزائن غرب إفريقيا (في سكتو، وباماكو، وتنبكتو، وفوتا تورو)، والعمل على إبراز تلك الوثائق في إطار التاريخ الحضاري المشترك الذي يربط بلاد المغرب الكبير بحواضر الساحل والسودان الغربي.

5. قائمة المصادر والمراجع:

1. محمد بلو: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، دراسة وتحقيق بهيجة الشاذلي، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، الرباط، 1996.

2. بول مارتي: كنتة الشرقيون، تعريب محمد ولد ودادي، موريتانيا، 1985.

3. عبد الله بن فودي: تزيين الورقات، تحقيق هسكت، إبدان، 1936.

4. بهيجة الشاذلي: الإسلام والدولة في إفريقيا جنوب الصحراء الفكر السياسي عند عثمان بن فودي خلال القرن 19م، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2015.

5. الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي: الفلاتة ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان، دار الكتاب الحديث، ط 01، 1994.

6. الألوري أدم عبد الله: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني المجاهد الإكبر بغرب أفريقيا والد الأعلى للشهيد أحمد بلو، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2013.

7. علي يعقوب: الفلانيون الشعب واللغة، مجلة قراءات أفريقية، العدد24، جوان 2015.

8. علي يعقوب: الدولة الإمامية في (فوتاتور) ودورها في نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية، مجلة قراءات أفريقية، العدد 09، سبتمبر 2011.

9. علي إبراهيم طرخان: إمبراطورية الفولاني الإسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد 06، 1979، القاهرتن 1985.

10. الهادي المبروك الدالي: الفلان دراسة وثائقية، ط 04، دار الكتب الوطنية، 2009.

11. حسين عيسى عبد الظاهر، الدعوة الإسلامية غي غرب أفريقية وقيام دولة الفولاني، ط 01، الزهراء للإعلام العربي، 1991.

12. سعيدي سماعيل، إمارة ماسينا ودورها الحضاري في منطقة السودان الغربي(1818- 1862م)، أطروحة دكتوراه الطور الثالث، إشراف: بابا عبد الله، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية، جامعة أدرار، 2024-2025.

13. إلهام محمد علي ذهني، جهاد الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي(1850-1914م)، ط01، دار المريخ للنشر، الرياض، 1988.

14. عبد الله عبد الرازق إبراهيم، الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا، مكتبة الأنجلو المصرية، د ط ن.

15. أحمد محمد كاني، الجهاد الإسلامي في غرب أفريقيا، ط 01، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987.

17. أحمد بوعتروس، الحركات الإصلاحية في أفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن 13هـ/19م، دار الهدى، 2009.

18. عطية عومار، الشيخ عثمان بن فودي وحركته الإصلاحية جذورها وتأثيراتها على غرب أفريقيا(1754-1817م)، إشراف :حوتية محمد، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة غرداية، 2015- 2016م.

19. Delafosse.M, Haut sènegal, Paris, 1912.

20. Barth. H,Voyage Dèciuverte dans l'Afrique Septentrionale et centrale prndant les année 1849- 1855, Traduction de l'Allemand par Paul Ithier, Paris, 1861.

21. LAM. A.M, De l'origine Egyptienne des Peuls, Paris, 1996.

22. Diop.C.A. L'unitè Culturelle de l'Afrique Noire, Paris, 1960.

23. Villard. G,Les Peuls dans notre Afrique, le monde colonial illustrè, n 174, dècembre, 1932.